تاريخ اضطهاد النساء وثقافة المجتمعات

الجينوفوبيا أو الخوف من النساء

لطفية الدليمي

سوف أناقش في هذا القسم الموروث الثقافي الغربي وتعزيزه للخوف من المرأة وانعكاساته على المجتمعات الأخرى بخاصة بعد انتشار الطباعة وشيوع الكتب وانتقالها بين البلدان المختلفة.
تناوبت فترات تردي وفترات ارتقاء النساء خلال العصور، إلا أن سيادة الأيديولوجيات الذكورية وهيمنة الرؤى الميتافيزيقية الماورائية وتحكّم الأساطير بالعقل البشري- أوجد نوعا من التباس في فهم طبيعة المرأة وأضفى على واقع الأنثى والأنوثة ذلك الغموض المثير للرغبة والخوف معا، فيسعى الإنسان حينها لفك طلاسم الغامض ويخشاه في الوقت ذاته ولكنه لا يستطيع الابتعاد عنه وأسهم هذا التناقض والالتباس المحيّر في ظهور الخوف من النساء من جانب، وأدى إلى تدني مكانة المرأة من جانب آخر- وظهر وترسخ في ضمير الفرد والمجتمع عرض نفسي وصفه علم النفس لاحقا: بأنه رهاب النساء أو(الجينوفوبيا gynophobai) وهو عرض الهلع من النساء وكرههن الذي تحفل به مرجعيات الحضارة الغربية الأسطورية والدينية على حد سواء..

القسم الثالث

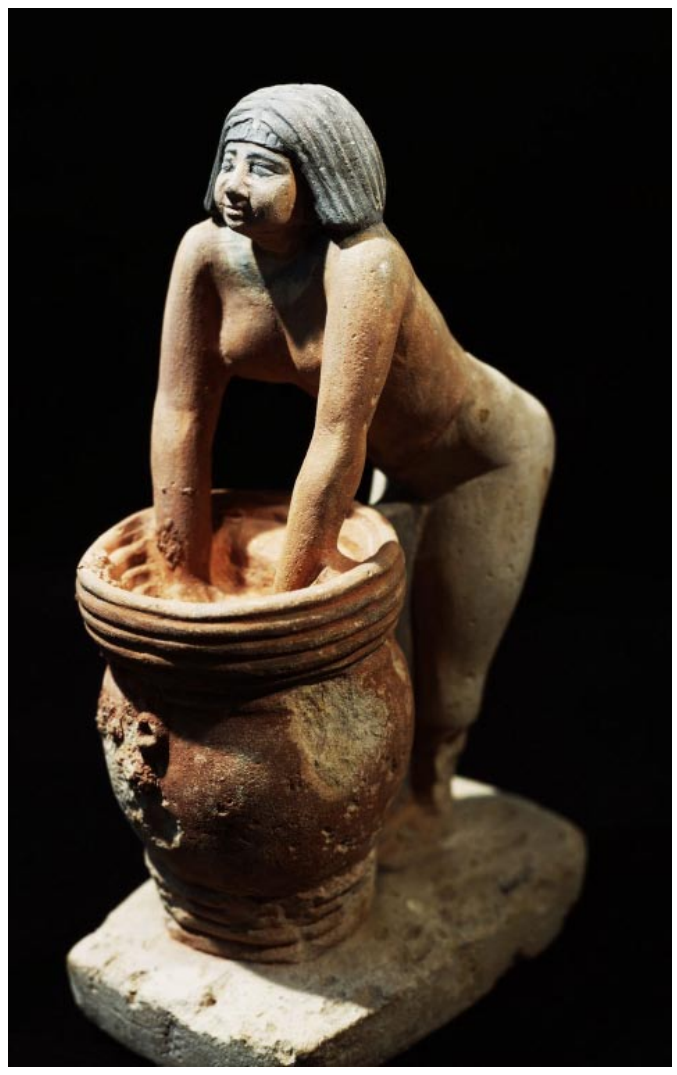

أطلقت الميثولوجيا الإغريقية أسطورة (باندورا) التي تخبرنا أن بلاد الإغريق كان يسكنها ذكور خلقوا من الطين ولم تخلق معهم أية أنثى، وعندما وهب زيوس الأرض الى بروميثيوس فعمرها ورأى الرجال تائهين في البرد وعواصف الطبيعة أراد بروميثيوس أن يقوم بعمل يغير أحوالهم، فسرق النار من جبل الأوليمب حيث يقيم الآلهة الخالدون ومنحها للرجال الفانين - وكانت النار حكرا على الآلهة - فغضب زيوس وقرر معاقبة بروميثيوس وتسليط الشر على الأرض، فطلب من فولكانو إله النار الحداد أن يخلق المرأة التي وهبتها فينوس الجمال والحب ومنحتها أثينا الذكاء والحكمة ووهبها بقية الآلهة البراعة والجرأة والإقناع والفضول والمكر والخداع وأعطاها زيوس صندوقا وطلب منها ألا تفتحه - وهو يعلم أنها ستعصي طلبه – فدفعها فضولها لكشف غطاء الصندوق فخرجت الشرور والأمراض والآثام من الصندوق وبقي فيه شيء واحد هو الأمل الذي راح يطير إلى جهات العالم ويخفف عن البشر آلامهم وأحزانهم وهكذا أسست الأسطورة لمفهوم الشر المرتبط بالمرأة، وبينما تضاد أسطورة الخلق السومرية هذه الفكرة إذ مزجت الإلهة الأم ننتو التراب بماء الفرات وصنعت من الطين على شكل الطابوق سبع اناث وسبعة ذكور وقرأت عليهم تعويذة الولادة فاكتسبوا الحياة وولد الرجال والنساء في لحظة واحدة وصنعوا الحياة في ارض سومر..

لقد صيغت- مفردات معظم الثقافات الأولى (الهندوسية والإغريقية والبونية واليهودية) على أساس دونية المرأة وقذارتها وجرى تجريمها انطلاقاً من معطيات ميثولوجية وما أضافته الرؤية الفيثاغورية والأفلاطونية التي أجمعت على احتقار المرأة والحط من شأن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة، فكانت فلسفة أفلاطون تختزل تلك الكراهية التقليدية التي يكنها المجتمع الإغريقي للنساء حتى اقترح ألا يقترب الزوج من امرأته إلا إذا قصد الإنجاب حتى لا ينقرض الجنس البشري فكانت النساء يحجرن في (الحريم) وغدا المنزل مكانا للحجر ومجالا للإنتاج أي السجن المنتج، إذ كانت المرأة تنسج ثياب الأطفال وملابس الزوج وتعد الطعام وتنظف وترعى الدواجن مما يتيح للرجل الخروج والتزود بالثقافة والعلم وحيدا خارج المنزل وكانت مناقشة الشؤون العامة محرمة على العبيد النساء في أثينا وازدرت تلك الفلسفات العمل اليدوي الذي تقوم به النساء رغم أن أفلاطون كان يرتاد صالونات السيدات المثقفات البارعات، ثم وصمت المدونات اليهودية حواء بالشر والغواية والانصياع لإغراء الأفعى ثم تسببت في فقدان الفردوس فترسخت في الوعي الجمعي البشري ثنائية: المرأة والشر، المرأة والشيطان. وخلال ذلك كله تراوح الموقف الذكوري من المرأة ما بين الانجذاب والكراهية والافتتان والنفور والتواصل والنكران.

وفي العصور الوسطى غالى رجال الكنيسة في إهدار شأن المرأة، مع علمنا أن الدين المسيحي يدعو إلى شريعة الحب والرحمة ويمجد السيدة مريم العذراء، لكن الكهنة الأوروبيين – متأثرين بالموروث الإغريقي واليهودي- مضوا بعيدا في إهدار قيمة المرأة وقالوا في النساء أقوالا لها وزن الشرع المقدس:) الأجدر بهن أن يخجلن من أنهن نساء)، وعليهن (أن يعشن في ندم متصل جراء ما جلبن على الأرض من لعنات) وقد ذهب البعض إلى أبعد من هذا، فزعموا أن أجسامهن من عمل الشيطان.ويجب أن تلعن النساء لأنهن سبب الغواية، وكانوا يرددون: إن الشيطان يحب الظهور في شكل أنثى، وتداول هؤلاء الكهنة المتطرفون الأسئلة المشينة مثل – هل يحق للمرأة أن تعبد الله كما يفعل الرجل؟ هل تدخل الجنة وملكوت الآخرة؟ هل هي إنسان له روح يسري عليه الخلود؟ أم هي نفخة هواء فانية لا خلود لها؟ وفي عام ٥٨٦م عُقد مؤتمر للكنائس لبحث إنسانية المرأة، ثم قرر المؤتمر (بأن المرأة كائن خلق لخدمة الرجل فقط). وكان الهندوس يعدون المرأة رمزا للغواية والشر أما المانوية و ــ حسب عقيدة مانو ــ فإنها ترى أن الأنثى (خلقت للزينة والفراش وهي مخلوق دنس كالباطل ذاته ومصدر الرذائل). وحُرمت المرأة الهندوسية حق الملكية والإرث (أسوة بالعبيد) واستمر هذا الوضع حتى منتصف الخمسينات من القرن الماضي، عندما عدل قانون الأحوال الشخصية في الهند خلال رئاسة نهرو.

ويبدو أن الخوف من المرأة تحول إلى ظاهرة طبعت الإبداعات والفنون وحركات اللاهوت في القرون الوسطى وبقيت ملامحها الى اليوم وبعدها ترافقت مواقف الفلسفة الألمانية (نيتشة واشبنغلر وشوبنهاور) مع بعض طروحات فرويد بخصوص النساء- وصنعت موقفاً متماسكاً من العداء والنظرة المتفوقة لنصف البشرية من النساء، وأسهم بعض الأدب الغربي في العصور المظلمة وما تلاها في تعزيز الخوف من المرأة والإقرار بتدني مكانتها – فقد كتب اوستاش ديشان (سنة ١٤٠٠) كتبا معادية للنساء وفي ألمانيا اللوثرية ظهر كتاب (الشيطان المنزلي) للكاتب ادم شوبيرت كما نشر كاهن بروتستانتي كتاب (المرأة الشريرة) وانتشر هجاء النساء بعد ظهور الطباعة فنشرت كتيبات صغيرة كانت توزع في الأسواق والحانات والفنادق وعلى السفن تحوي أنواعا من الشتائم البذيئة التي يوجهها الرجال للنساء فكانت تؤجج العداء والسخرية ضد النساء في المحافل العامة والشوارع وكتب باحث فرنسي اسمه دانيال ريفييه في القرن السابع عشر(إن من بين عشرة أمثال عن المرأة هناك سبعة أمثال مناهضة للنساء) ما اغضب الكنيسة ودعا بعض رجال الدين الى ضرورة احترام المرأة وذم الكتب والمنشورات التي تعلن الحرب عليها فلم يكن الشرق وحده ملوما على اضطهاد النساء بل أن الغرب والأدبيات المتعصبة في القرون الوسطى أسست للتمييز القاسي ضد المرأة الذي ازداد غلواً في عصر النهضة وتابع الرسامون توجيه الهجاء واللعنات في أعمالهم للجنس المؤنث لأنهم كانوا يعيشون هاجس اقتراب القيامة ما يدفع بهم إلى صب غضبهم وحقدهم على النساء خشية الموت الوشيك.. وروجت الآداب والفنون في القرن الثامن عشر والتاسع عشر (كتابات دي ساد- وبودلير وحتى سيلين) ثم الأدبيات النازية في القرن العشرين – لفكرة ارتباط المرأة بالشر والجريمة والموقع الأدنى. ويرجع الباحثون وعلماء النفس السبب في هذا إلى ارتباط المرأة بالطبيعة وكون الأمهات يمثلن دورة الطبيعة المتجددة ويملكن المعرفة بأسرار الولادة والنمو بينما ارتبط العنصر الأبوي بالتاريخ والسياسة والهيمنة، ومن هنا ظهرت تلك المخاوف الطقوسية من المرأة القادرة على التنبؤ والرؤيا والشفاء والسحر وإنزال الأذى بالآخرين لعلاقاتها السرية بالطبيعة وبسبب الخوف من السحر وما افترضوه من شر في الأنثى، حرّم الفراعنة تعليم الكتابة والقراءة على النساء في الوقت الذي كانت نساء سومر وبابل يعملن ناسخات وكاتبات ويملكن بعضا من حرية مشروطة- وتروي بعض المصادر أن الخلخال المصلصل كان اختراعا سومريا ترغم النساء على ارتدائه لملاحقة تحركاتهن في غدوهن ورواحهن – ولم يكن قطعة حلي لقدم المرأة حسب، بل كان جرس إنذار لمراقبة النساء كمثل الشريحة الالكترونية التي تزرع في أجساد المساجين للاستدلال على تحركاتهم في عصرنا الحالي.

منطقة محررة

▪ نجم والي

بين الموت الأبيض والموت في كل الألوان

الموت الذي راح يقضي عليهم، هم أصحاب البشرة السوداء، واحداً واحداً وبحماس يحمل لوناً خاصاً به هذه المرة، يختلف عن "اللا" لون الذي اعتادت الكوارث على حمله، حتى أن حكماءهم احتاروا بتمييز اللون، وفي حالة اضطرارهم لتشخيصه يمنحونه صفة الغموض. لكنهم هذه المرة يرونه بوضوح: أبيض. نعم أنه أبيض لون الموت الذي يجعل أحبتهم وأقاربهم وأصدقاءهم وجيرانهم يختفون بسرعة البرق دون وداع ودموع، بل دون طقوس. أنه موت بشكل جديد. وهؤلاء الرجال الذين جاءوا عبر المحيط بأسلحتهم وأدواتهم وعدتهم عندهم جلد يشبه لون الجص. الإنسان. هكذا تقول القصص الشفاهية التي تناقلتها الألسن في إفريقيا. فقد لون جلده الأسود عند دخول مملكة الأموات. هكذا من الجائز جداً أن يكون هؤلاء الرجال ليسوا غير أرواح أولئك الأسلاف الذين يزورنهم دون مقدمات. يظهرون فجأة عند الساحل مع ترساناتهم ومع حيواناتهم ومراحيضهم. "انظروا إلى تلك السفينة التي رست عند الساحل القريب منا، أنها ممتلئة بالأشرعة البيضاء، تغطيها تماماً وتلمع مثل حراب. رجال بيض طلعوا من الماء ينطقون كلمات لا تُفهم. أسلافنا هربوا من الخوف".

على هذه الصورة رأى سكان أفريقيا الوصول الأول للبرتغاليين عند شواطئ الكونغو في القرن الخامس عشر، إذا صدقنا ما نقله الحكواتي "موكنزو كيوكو" الذي تحول إلى أكثر القصاصين العالميين شهرة بعد أن نقلت الصحف العالمية ما رواه بمناسبة مؤتمر مناهضة العنصرية في مدينة دوربان في جنوب أفريقيا "السوداء" التي تدعي التعافي من رهبة وباء الموت "الأبيض". لكن تلك الرهبة، رهبة المواجهة الأولى للرجل الأبيض في زمن صديقنا موكنزو كيوكو، كانت مفهومة، فما حصل على السواحل الغربية لقارة أفريقيا في القرون الأربعة اللاحقة هو تراجيديا تفوق كل تصور، عجزت آلاف الكتب عن تصويرها. ما حدث يظل أولاً سراً عرفه أولئك الملايين من البشر الذين تعرضوا له مباشرة، حيث لا كتاب ولا ملحمة تستطيع التخفيف عن ألمهم أو منح العزاء لأحفادهم، وثانياً لأن حتى في حالة تصديقنا كتب المؤرخين فإن عدد البشر "العبيد" الذين شحنوا يفوق اليوم كل تصور، من غير ممكن حدوث ذلك بسهولة في وقتنا الحاضر، في عصر الإعلام والانترنيت وتضارب المصالح بين الدول التي تتوق للعب دور الكولونيالية من جديد، وخاصة إذا عرفنا حجم الكارثة التي حصلت في ذلك الوقت، حيث شحن تجار الرقيق القادمين من أوروبا والبرازيل في سفنهم ما يقارب الـ ١٢ إلى ١٥ مليوناً من الأفارقة باتجاه أميركا، لكي يرضوا هناك الطلب المتزايد على الأيدي العاملة في المزارع.

طبعاً يجب ألا ننسى في هذا السياق ما قام به العرب في شرق قارة أفريقيا: العرب هم أول من مارس تجارة الرقيق، وقبل الأوربيين، وليس من المبالغة القول أنهم توصلوا إلى تحويل أكثر من ١٧ مليوناً من البشر إلى بضاعة في المناطق العربية وخاصة في مناطق الشمال الأفريقي.

لكن بغض النظر عن تجارة الرقيق عند العرب، يبدو أن التجارة بالإنسان صاحب البشرة السوداء عند المحيط الأطلسي قوّت عند الأفارقة وجهة النظر القائلة، بأن الأوروبيين أكثر من غيرهم، هم الذين جاءوا من مملكة الأموات، ليس بسبب تقارب لون بشرة العربي "السمراء" وشكل لباسه وطريقته بالعيش القريبة منهم إلى حد ما، إنما ربما لاختلاف طريقة الأوروبي بالتعامل معهم. ففي كل مرة، عندما يأخذون شحنة من البشر "العبيد" فوق سفنهم، كانوا يختفون إلى الأبد. معظم السكان الأفارقة اعتقدوا أيضاً، بأن الأوربيين هم أكلة لحوم بشر ولذلك يشترون هذا العدد الكبير من البشر. بالإضافة إلى ذلك، فقد اعتقدوا أن النبيذ الأحمر الذي واظب البحارة على شربه، لم يكن بالنسبة للأفارقة سوى دم الضحايا، وبارود بنادق البحارة البيض لم يكن غير المسحوق الذي استخرجه ملائكة الموت "البيض" من العظام السوداء المطحونة، وأحذية الأوربيين السوداء فهي بالنسبة لهم مصنوعة من جلد سكان قارتهم، الأفارقة الأسود المدبوغ.

اليوم العديد من المجتمعات في العالم تعيد النظر في تاريخها، خاصة في ما يتعلق بالظلم الذي لحق بطبقات أو فئات أو أقليات اجتماعية أخرى، باستثنائنا نحن، "شعب الله المختار"، كأن لا عنصرية ولا ظلم أرتكب وما يزال يُرتكب عندنا وعلى قدم وساق باسم الطوائف والملل والأجناس. نحن "خير أمة أخرجت للناس"، حيث ما زالت تقترن كلمة "عبد" بكل صاحب بشرة سوداء، وحيث المرأة عندنا جنس دنس "حرمة" نخترع لها وزارة وهيئات مهمتها هي وأدها من جديد، حتى إذا كانت الوزيرة امرأة كما في حالة العراق!

للأسف تلك هي الحقيقة، الموت عندنا يحمل أشرعة بكل الألوان، ولكي ننتهي منه نحتاج إلى قرون طويلة أخرى، نحتاج إلى ألف ربيع وردي وليس إلى ربيع يتنافس عليه الأصوليون والساسة المتاجرون بالدين، من كل الطوائف والأديان والأجناس: سادة العنصرية والتمييز من المحيط حتى الخليج ومن دون استثناء. الموت عندنا يحمل رايات وأعلاماً بكل الألوان!

صدر عن دار المدى

الإعلام قيم ومبادئ

صدر عن دار المدى كتاب (الإعلام قيم ومبادئ إستراتيجية وآليات تطوير إعلام معاصر في كردستان)، لمؤلفه الدكتور شيرزاد قاضي، إذ انه في هذا الكتاب حاول توضيح دور الإعلام في إقامة مجتمع مدني حر في كردستان، ضمن التطورات التي يشهدها الإقليم والعراق ومنطقة الشرق الأوسط.

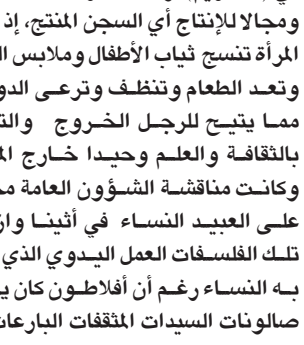

ويتناول الكتاب القيم والمبادئ التي تحكم مهنة الصحافة، ونظرة الناس إليها، والسبل الكفيلة بتطوير مشاعر الثقة بالإعلاميين، وسبل رفع الوعي الإعلامي، ونزوح الصحافة ليس نحو قيود الرقابة فحسب، بل التحول إلى رقيب للتطور الديمقراطي.

قد يأكل الشعراء كلماتهم قريباً

ترجمة/ عادل العامل

انسحب عدد من الشعراء مؤخراً في بريطانيا من التنافس على جائزة ت. س. إليوت، التي تقدمها جمعية كتاب الشعر Poetry Book Society، و قيمتها ١٥ ألف جنيه استرليني، ومن هؤلاء أليس أوزوالد، وهي واحدة من أشهر الشعراء الأحياء في بريطانيا، والكاتب الأسترالي جون كينسيلا. و قد جاء موقف هؤلاء الشعراء بعد أن فقد مجلس الفنون التابع للجمعية تمويله، و قرر الحصول على الرعاية من شركة استثمار تدعى أوروم. وليس واضحاً، يقول كاتب المقال، ما الذي يحتج عليه الشعراء بالضبط. لكن المشكلة ببساطة كما يبدو هي أن الشركة تمثل المال و الرأسمالية و التمويل - و هي كلمات قذرة بالأحرى في وقتنا هذا!

إن الأدب و التمويل يرتبطان في علاقة أسعد في مجالات أخرى. فجائزة الأدب القصصي الأكثر مهابة في بريطانيا، جائزة مان بوكر Man Booker، ترعاها شركة مان كروب Man Group، و هي شركة تمويل أكبر و أشهر بكثير من أوروم. كما أن جائزة أورانج ترعاها شركة تلفونات موبايل. و جائزة كوستا تدعمها شركة أغذية و مشروبات. وهي جميعاً شركات كبيرة، و تضع أيضا قدراً كبيراً من المال في الفنون.

كينسيلا

أوزوالد

ألبيرغ

فهل هذا أمرٌ سيّئ حقاً؟

من الواضح أن بعض الناس يفكرون هكذا. فعندما فاز جون بيرغر بجائزة بوكر في عام ١٩٧٢ على روايته الرائعة (G)، أعطى نصف المبلغ للفهود السود في أميركا، و هي حركة أميركية أفريقية راديكالية، و ذلك احتجاجاً على صفقات البوكر في الكاريبي. و قد طلبت جانيت و ألان ألبيرغ، و هما مؤلفا كتب أطفال محبوبة كثيرة ألاّ يُدخلونهما في جائزة لكتب الأطفال ترعاها شركة Nestle.

إن تاريخ الرعاية طويل بطول تاريخ الفن. فمعظم العمارة التذكارية قبل القرن العشرين كانت بتكليف من الملوك أو الأثرياء. و لقد عاش مايكل أنجلو في الواقع مع داعمه المالي، لورينزو دي مديتشي، و هو أحد أفراد أسرة مصرفية شهيرة. بل كان هناك شفعاء يذهبون إلى أبعد من ذلك. ففي القرن السادس عشر كان البابا جوليوس الثاني معروفاً بتكليفه إنجاز أعمال فنية و صورته في مركزها. و في عام ١٦٦٨، عيّن تشارلس الثاني جون درايدن لينسج شعره في سنوات الإصلاح Restoration ــ و هكذا ولدت وظيفة كبير الشعراء، مع المهمة المحددة لكتابة الشعر عن الملك.

و هناك أيضاً أمرٌ غير سويّ في ما يتعلق بهؤلاء الشعراء الذين يقررون اليوم أنهم لا يريدون أموالا من القطاع الخاص. فمَن المفترَض به بالضبط أن يموّل الفنون، يا تُرى؟ يبدو لي أن التشجيع، و ليس الإساءة و الرفض، هو ما ينبغي توجيهه إلى المنحة الخاصة. و سجل ذلك واعد تماماً في الواقع. ففي عام ١٩٧٦ منح المتبرعون الخاصون ٦٠٠،٠٠٠ جنيه للفنون. وفي عام ٢٠٠٩ كان ذلك المبلغ ٦٨٦ مليون جنيه. و لم يكن كل ذلك المال تمويلاً من شركات ــ فبعضه من أفراد أثرياء أو غير أثرياء جداً. لكن المبالغ الكبيرة تأتي من تبرعات الشركات. وجميع المصارف أيضاً لديهم مجموعات فنية خاصة، و هو شكل آخر للرعاية. فهل ينبغي عدم تشجيع هذا أيضاً؟ هل ينبغي جعلهم يغطون جدرانهم بأوراق البنكنوت أو الكمبيالات بدلاً من اللوحات الفنية؟

إذا كانت هناك من شكوى ضد شركة، أو متبرع، أو داعم على وجه الخصوص، فإن رفض أخذ المال منهم يكون مفهوماً. لكنني لم أسمع أية شكوى في قضية جائزة ت. س. إليوت. و يبدو أنه كره معمَّم لفكرة أن يحتك المال و الفن بعضهما ببعض معاً. و هذه اليوم أوقات عسيرة وتمويل الحكومات للفنون هابط. و على الشعراء أن ينتبهوا جيداً، و إلا فإنهم قد لا يكون لديهم قريباً سوى كلماتهم يأكلونها!

The Economist